عنوان البحث

الخفاء بين القرآن الكريم ونهج البلاغة

بحث تقدمت به الطالبة **(نبأ جايش كَطان الجبوري)** وهو جزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس الى قسم علوم القران والتربية الاسلامية

أشراف

م.م. باقر فليح

١٤٣٨ هـ ٢٠١٧ م

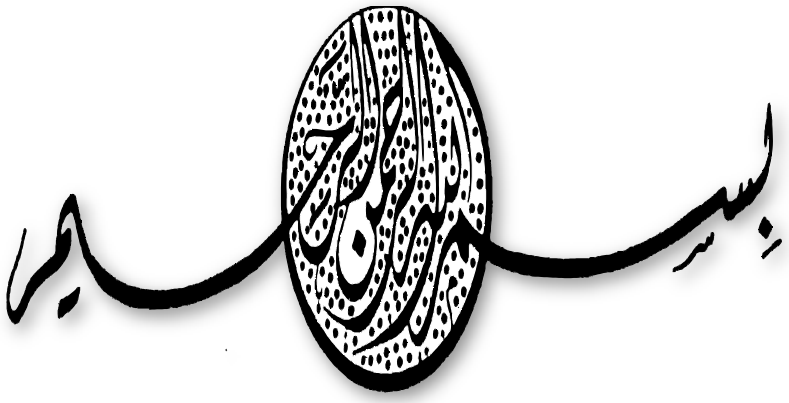

((وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢)

وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ

عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ

جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣)))

صدق الله العلي العظيم

سورة : الطلاق

الاية : ٢ – ٣

الإهداء

رسول الانسانية ... محمد (ص)

سيد الكونين وأبو السبطين ... الامام علي (ع)

القلب المؤمن الذي زرع الثقة في اعماقي ... والدي

من وطأت الجنة تحت قدميها ... امي

سندي وعيوني في الحياة .... اخوتي وأخواتي

من اشد بهم ازري وقت ضيقي ... اصدقائي

كل من علمني حرفاً ملكني عبداً ... اساتذتي

الباحثة

شكر والتقدير

الحمد لله الذي لا ارجو إلا فضله ، ولا اخشى إلا عدله ، ولا اعتمد إلا قوله ، ولا امسك إلا بحبله ، والصلاة والسلام على نبي الرحمة محمد (صلى الله عليه واله وسلم) اما بعد

فيشرفني ان اقدم شكري وامتناني الى الاستاذ المشرف على بحثي **(باقر فليح)** لما ابداه من مساعدة وتوجيه وتشجيع مستمر طوال فترة البحث.

واخيراً اقدم شكري وامتناني الى كل من مد لي يد العون والمساعدة والحمد لله رب العالمين .

الباحثة

ثبت المحتويات

الموضوع	الصفحة
العنوان	أ
الآية القرآنية	ب
الاهداء	ج
شكر وتقدير	د
ثبت المحتويات	هـ
المقدمـــــة	١
الفصل الاول : مفهوم الخفاء في اللغة والاصطلاح	(٢ – ٥)
اولاً : مفهوم الخفاء في اللغة	٢ - ٣
ثانياً : مفهوم الخفاء في الاصطلاح	٤ - ٥
الخلاصــة	٥
الفصل الثاني : الموارد القرانية لمفهوم الخفاء	(٦ – ١٧)
اولاً : الايـــــات	٦
ثانياً : السياق القرآني	٧ - ١٦
الخلاصـــــة	١٧
الفصل الثالث : موارد الخفاء في نهج البلاغة	(١٨ – ٢٩)
اولاً : النصوص	١٨ - ١٩
ثانياً : السياق النصي	٢٠ - ٢٩
الخلاصـــــة	٢٩
الفصل الرابع : الخفاء بين القران الكريم ونهج البلاغة	(٣٠ – ٣٦)
الخفاء بين القران الكريم ونهج البلاغة	٣٠ - ٣٦
الخاتمـــة	(٣٧)
قائمة المصادر والمراجع	(٣٨ – ٣٩)

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

((الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه اجمعين محمد الصادق الامين وعلى وآله الطيبين الطاهرين))

اما بعد يعد موضوع الخفاء من المواضيع المهمة في الشريعة الاسلامية واخترت ان البحث عن هذا الموضوع في القرآن الكريم الذي يعد المصدر الاول في الشريعة وكذلك البحث في كتاب نهج البلاغة للأمام علي (عليه السلام) فهذا الكتاب بحر من العلم ومحيط من الحكمة وكنز لاينبض ويعد البحث عن موضوع الخفاء في مصادر اللغة والاصطلاح مهماً حيث وجدت ان هذه المصادر قد أعطت أهمية لهذه اللفظة حيث أعتمدتُ على أربع مصادر في اللغة وهي (العين للفراهيدي وأساس البلاغة للزمخشري ومقاييس اللغة لأبن فارس ولسان العرب لأبن منظور) ، واعتمدتُ على ثلاثة مصادر في الاصطلاح وهي (التعريفات للجرجاني وكشاف أصطلاحات الفنون للتهانوي ومفردات الفاظ القرآن للراغب الاصفهاني) ، وقد اعطت كتِب التفسير للسور القرآنية أهمية واضحة لهذا الموضوع حيث أعتمدتُ على أربعة مصادر تفسير في هذا البحث وهي (التفسير الكبير للرازي والميزان للطباطبائي وتفسير أبن كُثير ومجمع البيان للطبرْسْي) . وقد أولى علماء نهج البلاغة أهمية كبيرة لموضوع الخفاء ، فقد بينوا المواطن التي وردت فيها لفظة الخفاء وكان أساس موضوعي أن أبحث عن الخفاء في نهج البلاغة ومدى توظيف الأمام علي (عليه السلام) لهُ ، ولذلك اعتمدت في البحث على اربع مصادر لشرح نهج البلاغة وهي (نهج البلاغة لمحمد عبده ، وشرح نهج البلاغة لميثم البحراني ، وفي ظلال نهج البلاغة لمحمد جواد مغنية ، ونفحات الولاية للشيرازي) ، فقد جاء البحث على أربعة فصول حيث أشتمل الفصل الاول على المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفهوم الخفاء ، اما الفصل الثاني فقد اشتمل على الآيات التي وردت فيها لفظة الخفاء والسياق القرآني لهذه اللفظة عند علماء المفسرين ، اما الفصل الثالث فقد اشتمل على النصوص التي تحوي اللفظة في نهج البلاغة والسياق النصي عند شراح نهج البلاغة ، في حين اشتمل الفصل الرابع والاخير على عقد مقارنة بين القرآن الكريم ونهج البلاغة لمفهوم الخفاء من خلال الاقتباس والتضمين ومدى توظيف الامام علي (عليه السلام) لهذا المفهوم في خطبهِ . والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين .

الفصل الاول : مفهوم الخفاء في اللغة والاصطلاح

اولاً : مفهوم الخفاء في اللغة :

يتطلب منا عند تعريف المصطلحات ، والكلمات المهمة الرجوع الى قواميس ومعاجم اللغة الأصلية لكي نستطيع الوقوف على المعاني الدقيقة لأي مصطلح ، وعندما نبحث (الخفاء) في اللغة ينبغي أن نرجعها الى جذرها الثلاثي ، وهو الفعل الثلاثي (خفى) وعليه جاءت كلمة (خفاء) بألفاظ عديدة وذات معانٍ كثيرة في معاجم اللغة ، فقد ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) : ((ان الخفاء : الأسم الخفي ، يخفى ، خفا ، والخفاء : مقصور الشيء الخافيِ الموضع . والخفاء : هو رداءٍ تلبسهُ المرأة فوق ثيِابها ، وَيجمع الخفاء في أدنى العدد اخفيَّة ، والخَفيَّة : غُيضةَ ملتفة من النباتِ يتخذُ فيِها الأسد عرينِهُ . والخفا يأتي أيضاً : أخراجك الشيء الخفي وأظهاره)) .[١]

وقد ذهب أبن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ((أن للفعل الثلاثي (خفى) معنيان الأول : يدل على الستر والكتمان ، خفيت الشيء خفيَّةٍ وأخفيَّة وهو في خفيَّة وخفاء إذا سترتهُ . والخوافي سعفاتٌ يلَينُ فيها قلب النخَلة : والخافي : الجن .

والمعنى الثاني : يدل على الوضوح والأظهار . برح الخفاء ، أي وضح السر وبدا . وخفا المطر الفئار مَن حَجِرهنَّ ، أي أخرجهنْ وأظهرهن)) [٢] .

في حين ذكر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ((خفا البرق خفواً أي لمع بضعف خفواً خفواً ، واستخفى ، أستتر وهو يخفى صوته . والله عالم الخفياتِ والخفاَيا فلايخفى عليه خافيةٌ ، وَبرحَ الخفاءُ زالت الخفيَّة وظهرَ الامرُ . وذكر عن بعض

---

[١]) العين : الفراهيدي : ٥٠٩/١ ، مادة (خفى) .

[٢]) مقاييس اللغة : أبن فارس : ٢٠٢ ، مادة (خفى) .

العرب : إذا حسنُ من المرأة خفَياها حسنَ سائرها وَهما صوتُها وأثَر وطئها ، لأن رخامَة صوَتهَا تدلُ على خفتهِا وتمكن وطئهِا يدلُ على ثقل أوراكها وأردافها)) .[٣]

أما ابن منظور (ت ٧١١ هـ) ذكر أن ((خفا البرق خفواً وخفواً ، أي لمع ، خفا الشيء خفواً ، ظَهرَ وَخَفى الشيءُ خفيَّاً ، وخفيَّاً أظهره واستخدمهُ ، وخفى المطر الفئار من حَجرَهَنَّ إذا أخَرجُهنَّ من أنفاقهن ، أي من حجرهن ، قال تعالى : ((إن السَاعَةَ آتُية أكادُ أخفِيَّها ...)) .[٤] أي أظهرها ، وخفيت الشيء ، أَخفيَّه كتمتهُ وسترتهُ ، وأخفيتهُ تأتي أيضاً أظهرتهُ وهو من الاضداد .

والخفيَّة : الركيَّة التي حفرت ثم تركت حتى أندفنت ثم أنتشلت وحفرت ونقيت وسميت بذلك ، لأنها أستخرجت وأظهرت . وفي حديث لعلي بن رباح السنة تقطع اليد المستخفية ولاتقطع اليد المستعلية . ويريد بها اليد المستخفية (يد السارق) والمستعلية (يد الغاصب والناهب) ، والخفاء والخافي ، والخافية : الشي الخفي)) .[٥]

والخافية نقيض العلانية ، قال تعالى : ((إدَعُوا رُبَكمُ تضرعاً وخفيَّةُ ...)) .[٦] إي خاضعين متعبدين ، والخفاء هو رداءٌ تلبسهُ العروس فَوقَ ثَيابِها فَتخَفيَّه به ، وكل ماستر شيئاً فهو لهُ خفاء . والخافية : هم الجن سمو بذلك ، لأستَتَارهُم عن الابصار ، أي لأختفائهم وعدم رؤيتهمُ ، والخوافي هنَّ ريشَات الطائر الحشر اللواتي في مقمة جناحيهِ أذا ضمَ جناحيهِ . والخفيَّة : البئر القَعيرةَ لخفاء مائها . قال تعالى : ((وَمنَ هَو مَستَخف بَاللَيلِ وَسَاربٌ بالنهار ...)) .[٧] وخفى تأتي في معنى خفيت الشيء سترتهُ وكتمتهُ وتأتي خفى الأمر وتوضح .

---

[٣]) اساس البلاغة ، الزمخشري : ٢٦٠/١ ، مادة (خفى) .

[٤]) طه / (١٥) .

[٥]) لسان العرب ، إبن منظور / ٤ ، ١٦٠ – ١٦٣ ، مادة (خفى) .

[٦]) الاعراف / (٥٥) .

[٧]) الرعد / (١٠) .

ثانياً : مفهوم الخفاء في الاصطلاح :

بعد الانتهاء من توضيح معنى (الخفاء) في اللغة سنذكر هنا المعنى الاصطلاحي للفظة (الخفاء) عند بعض العلماء .

فأن الراغب الاصفهاني (ت ٤٢٥ هـ) ذكر ((خفى الشيء والخفيَّة ، أي استتر ، قال تعالى : ((إدَعُوا رُبَكمُ تضرعاً وخفيَّةُ ...)) .[٨]

والخفاء مايستر به كالغطاء ، وخفيَّتهُ أزلت خَفاهُ وذلك إذا أظهَرتهُ وأخفيَّته ، او ليتهُ خَفَاءً ، وذَلك إذا سترتهُ ويَقابلُ به الابداء والاعلان قال تعالى : ((إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ...)) [٩] وقال تعالى : ((وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ ...))[١٠] ، وقال تعالى : ((بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ...)) [١١] والاستخفاء طلب الاخفاء)) .[١٢]

اما العالم إبي الحسن الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) ((قد ذكر في تعريف الخفاء اصطلاحاً ، الخفي : هو ماخفي المراد منهُ بعارض في غير الصيغة لاينال ألا بالطلب ، كآية السرقة فإنها ظَاهَرةُ فمنِ أخذ المال (أي مال الغير) من الحرز على سبيل الاستتار خفيَّة بالنسبةِ إلى من أختص بأسم أخر يعرف به كالطراز والنباش ، وذلك لأن كل فعل منها وإن كان يشبه فعل السارق ، ولكن اختلاف الاسم يدل على أختلاف المسمى ظَاهَراً ، فأشتبه الأمر في أنَهُما داخلان تحت لفظ السارق حتى

---

[٨]) الاعراف / (٥٥) .

[٩]) البقرة / (٢٧١) .

[١٠]) الممتحنة / (١) .

[١١]) الانعام / (٢٨) .

[١٢]) مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الاصفهاني : ٢٨٩ .

يقطعا كالسارق أم لا ، والخفاء في الاصطلاح أهل الله : هي لطيفة ربانية مودوعة في الروح بالقوة فلا يحصل بالفعل إلا بعد غلبة الواردات الربانيةَ ليكون واسطةٍ بين الحضرة والروح في قبول تجلي صفات الربوبية وإفاضة الفيض الإلهي على الروح))[١٣].

في حين ذهب الشيخ الاجل محمد التهانوي (ت ١١٥٨ هـ) ((ان الخفاء في إصطلاح القراء نطُق حرفٌ بصفة هي بين الإظُهار وَالإدَغَام عَاريةٌ من التشديد مع بقاء الفذة في الحرف الاول ، ويفارق الادغام بأنهُ بين الأظهار والأدغَامِ ، وبأنهُ أخفاء الحرف عند غيرهُ ، لافي غيره بخلاف الادغام ، أعلم انهُ الاظهار في النون الساكنة والتنوين عند حروف الحلق نحو (من أمن) ، ويجوز إلادغام عند حروف يرملون نحو (منْ وال) ، والأقلاب بالميم عند حرف واحد وهو الباء الموحدة نحو (من بعد) ، والاخفاء عند باقي الحروف كذا في الدقائق المحكمة والاتفاق ، والخفي لغةٍ أستتر وعند الأصوليين من الخفية لفظ أستتر ، المراد منهُ لا لنفس الصيغة بل لعارض والقيد الاخير أحتراز عن المشكل والمجمل والمتشابه كآية السرقة خفيت في حق الطراز والنباش)) [١٤].

الخلاصـــــة :

بعد الرجوع الى معاجم وقواميس اللغة في البحث عن معنى (الخفاء) وبعد ذكر أراء علماء هذه المعاجم وذكر بيان مدى رؤيتهم لمعنى (الخفاء) توضح انهُ لايوجد هناك أختلاف واضح بين الاراء ، وبعد الدراسة والبحث نلاحظ أن معنى الخفاء هو الستر والكتمان .

---

[١٣]) التعريفات : أبي الحسن الجرجاني : ١٠٤ .

[١٤]) الكشاف في اصطلاحات الفنون : محمد التهانوي : ٣٥٩ .

وبعد الانتهاء من ذكر معنى الخفاء في اللغة شرعت أن أذكر (الخفاء) في الاصطلاح واعتمدتُ على ثلاثة مصادر من كتب الاصطلاح وكانت الاراء في هذه المصادر مختلفة عن بعضها البعض لكنها كلها كانت مناسبة لمعنى الخفاء .

الفصل الثاني : الموارد القرآنية لمفهوم الخفاء :

اولاً : الأيات :

١. **قال تعالى :** ((بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)) [١٥] .

٢. **قال تعالى :** ((ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)) [١٦] .

٣. **قال تعالى :** ((إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا)) [١٧] .

٤. **قال تعالى :** ((يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ)) [١٨] .

٥. **قال تعالى :** ((وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ)) [١٩] .

٦. **قال تعالى :** ((يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ)) [٢٠] .

---

[١٥]) الانعام / (٢٨) ، ينظر : البقرة / ٢٨٤ ، المائدة / ١٥ ، الانعام / ٩١ ، فصلت / ٤٠ ، الاحزاب / ٥٤ .

[١٦]) الاعراف : (٥٥) ، ينظر : الانعام / ٦٣ .

[١٧]) مريم : (٣) .

[١٨]) غافر : (١٩) ، ينظر : غافر / ١٦ ، الاعلى / ٧ .

[١٩]) الشورى : (٤٥) .

[٢٠]) الحاقة : (١٨) ، ينظر : الممتحنة / ١ ، ابراهيم / ٣٨ ، السجدة / ١٧ ، آل عمران / ١١٨ .

ثانياً : السياق القرآني :

قبل البحث في السياق القرآني عند العلماء المفسرين لمفهوم الخفاء أو مشتقاته يجب أن نتطرق الى معرفة معنى السياق لغةً وأصطلاحاً عند اللغويين :

السياق في اللغة : السوق معروف سائق الأبل وغيرها ، يسوقها ، سوقاً وسياقاً وهو سائق وسواق ، قال تعالى : ((وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ...)) [٢١] ، وقد ورد عن الزمخشري : ((السياق : هو يسوق الحديث أحسن سياق وإليك يساق الحديث وجئتك بالحديث على سوقه : على سرده ، والمرء سيقه القدر يسوقه إلى ما قدر لهُ لا يعدوه)) [٢٢] .

إما أبن منظور فقد ذكر أن ((السياق هو التتابع والمساوقة المتشابهة كأن بعضها يسوق بعضها وقد أنساقت وتساوقت الأبل تساؤقاً إذ تتابعت ، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة ... والسياق المهر)) [٢٣] .

ونلاحظ بعد الرجوع الى المصادر اللغوية لمعرفة السياق قد تبين أنه التتابع والترابط فالشيء يسوق مثيلهُ ويرتبط به .

والسياق في الاصطلاح : هو ضم الكلمات بعضها الى بعض وترابط أجزائها واتصالها أو تتابعها وما توحيه من معنى وهي مجتمعة في النص .[٢٤]

والسياق القراني عند العلماء المفسرين لمفهوم الخفاء ومشتقاته في القران الكريم فقد تطرق بعض علماء المذاهب المختلفة الى تفسير الآيات التي تتعلق

---

[٢١]) ق / (٢١) .

[٢٢]) اساس البلاغة ، الزمخشري : ٣١٤ ، مادة (سوق) .

[٢٣]) لسان العرب ، ابن منظور : ١٦٦/١٠ ، مادة (سوق) .

[٢٤]) التعريفات ، أبي الحسن الجرجاني :

بمفهوم (الخفاء) ومن العلماء من اتفق في تفسير بعض الآيات ومنهم من أختلف في التفسير الذي يفسر معنى الخفاء في القرن الكريم .

١. **قال تعالى** : ((بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ...)) [٢٥] .

فقد تطرق بعض المفسرين الى تفسير الآية أعلاه ومن هؤلاء المفسرين الشيخ الطبرسي (ت ٥٨٤ هـ) ((ذكر بما يتعلق بتفسير الآية عدة أقوال مختلفة منها الاول : بدا لبعضهم من بعض ما كانوا علماؤهم يخفونهُ عن جهالهم وضعفائهم مما في كتبهم فبدا للضعفاء عنادهم . والثانية : إن المراد به بدا من اعمالهم ما كانوا يخفونهُ فأظهرهُ الله لهم وشهدت به جوارحهم .

والثالث : إن المعنى ظهر للذين أتبعوا الغواة ما كانوا الغواة يخفونهُ عنهم من أمر البعث والنشور وكل هذه الأقوال بمعنى ظهرت فضيحتهم في الأخرة ولو ردوا إلى الدنيا كما طلبوا لعادوا الى مانهو عنهُ من الكفر والتكذيب))[٢٦] .

وفي حين فسر الأمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) ((أن للآية الكريمة اعلاه مسألتان الاولى : (بل) هنا معناها رد الكلام والتقدير أنهم ماتمنوا العودة إلى الدنيا وترك التكذيب وتحصيل الأيمان لأجل كونهم راغبين في الأيمان ، بل لأجل خوفهم من العقاب الذي شاهدوهُ وعاينوهُ .

والمسألة الثانية : أنهُ ظهر لهم في الأخرة ما أخفوهُ في الدنيا . وذكر الرازي وجوه عدة لهذه المسألة منها الاولى : إن المشركين في بعض المواقف يجحدون

---

[٢٥]) الانعام : (٢٨) .

[٢٦]) مجمع البيان في تفسير القرآن : الشيخ الطبرسي : ٦٦٧/٤ .

الشرك فينطق الله جوارحهم فتشهد عليهم بالكفر فذلك الحين بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل)) [٢٧] .

اما الوجه الثاني من المسألة الثانية : فهو بدا لهم وبال عقائدهم واعمالهم وسوء عاقبتها ، وذلك لأن كفرهم ما كان بادياً ظاهراً لهم لأن مضار كفرهم كانت خفيةٌ .

اما الوجه الثالث : بدا للأتباع ما أخفاه الرؤوساء عنهم من أمر البعث والنشور . والرابع : هذه الأية في المنافقين الذين كانوا يسرون الكفر ويظهرون الأسلام وبدا لهم يوم القيامة . والخامس : بدا لهم ما كان علماؤهم يخفونه من جحد نبوة الرسول ونعته وصفته في الكتب والبشارة .

أما إبن كثير (ت ٧٧٤ هـ) نلاحظ أنه لم يبحث في تفسير الآية بشكل مفصل ومفرع الى مسـائل كما فسرها الشيخ الطبرسي والأمام الرازي ، فقد ذكر ابن كثير توضيح مختصر للآية أعلاه ، ((وهو أن الكفار ما طلبوا العودة الى الدنيا محبة في الاسلام بل خوفاً من العذاب الذي عاينوهُ جزاء ما كانوا يخفونهُ من الكفر فسألوا الرجعة الى الدنيا ليتخلصوا مما شاهدوهُ من النار والعذاب ولهذا لو ردوا الى الدنيا لعادوا الى كفرهم)) .[٢٨]

وقد اتفق الشيخ السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ) مع الشيخ الطبرسي والامام الرازي في اغلب الأقوال التي تتعلق بتفسير الآية وكان رأي السيد الطباطبائي مشابه كثيراً لأراء الطبرسي والرازي . وذكر السيد ((أن ظاهر الآية أن المشركين حين وقفوا

---

[٢٧]) التفسير الكبير : الرازي : ١٥٩/٦ – ١٦٠ .

[٢٨]) تفسير إبن كثير : أبن كثير : ١٢٢/٢ .

على النار ظهر لهم ما كانوا يخفونهُ في الدنيا وتمنوا العودة الى الدنيا ليس محبة بالاسلام بل من الخوف الذي عاينوهُ .

وقد ذكر السيد في سياق الآية أنهُ هناك محذوفاً أي في الكلام مضافاً محذوفاً ، أي بدا لهم وبال ما كانوا يخفونهُ من الكفر والسيئات ونزل بهم عقابه فتبرموا وتضجروا وتمنوا الرجوع الى الدنيا وترك الكذب والكفر)) [٢٩].

٢. **قال تعالى** : ((ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ...)) [٣٠] .

لقد تطرق الشيخ الطبرسي الى تفسير الآية أعلاه ((وقال إن ما بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفاً ثم قال أن هناك أقواماً ما كان على الأرض من عمل يستطيعون أن يعملوهُ في السر فيكون علانية ابداً ، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم وروي عن النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وأله وسلم) كان في غزاة فأشرفوا على وادٍ فجعل الناس يهللون ويكبرون ويرفعون أصواتهم وقيل أن التضرع رفع الصوت والخفية والسر أي أدعوهُ علانياً وسراً)) [٣١] .

في حين بحث الأمام الرازي في سياق هذه الآية بشكل مختصر ((ذكر إنهُ هو الدعاء لطلب الخير من الله تعالى وهذه صفة العبادة ، لأنهُ يفعل تقرباً وطلباً

---

[٢٩]) الميزان : السيد الطباطبائي : ٤٥/٧ – ٤٦ .

[٣٠]) الاعراف / (٥٥) .

[٣١]) مجمع البيان : ٤.

للمجازاة ، لأنه تعالى عطف عليه ، والمعطوف ينبغي أن يكون مغايراً للمعطوف عليه لأن الدعاء مغاير للعبادة)) [٣٢] .

وورد عن إبن كثير في سياق الآية الكريمة ((انهُ إدعوا ربكم تضرعاً وتذللاً واستكانةٍ لطاعته وخفية بخشوع قلوبكم وصحة اليقين بوحدانيته وربوبيته فيما بينكم وبينه لا جهاراً ، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم)) [٣٣] .

وذكر السيد الطباطبائي ((أمر بالتضرع ، والتذلل خفية لا مجاهرة أي من غير المجاهرة البعيدة عن العبودية وأن الواو بين (تضرعاً وخفية) للجمع أو أن يدعوه بالتضرع والابتهال الملازم عادةٍ للجهر بوجه أو بالخفية إخفاتاً)) [٣٤] . فأن ذلك هو لأزم العبودية ومن عدى ذلك فقد اعتدى عن طور العبودية وإن الله لايحب المعتدين . ومن الممكن أن يكون المراد بالتضرع والخفية الجهر والسر وإنما وضع التضرع موضع الجهر لكون الجهر في الدعاء منافياً لأدب العبودية إلا إن يصاحب العبودية ، وبعد الدراسة في سياق هذه الاية نجد أنهُ لايوجد أختلاف واضح بين الأراء .

٣. قال تعالى : ((إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ...)) [٣٥] .

وبعد البحث في سياق هذه الآية الكريمة عند الشيخ الطبرسي وإبن كثير والسيد الطباطبائي نجد أن كل من هؤلاء المفسرين لم يتطرق بصورة مفصلة في تفسير الآية وإنما كان تفسيرهم بشكل مختصر ولم يكن هناك أختلاف واضح بين

---

[٣٢]) التفسير الكبير : ١٠٤/٧ .
[٣٣]) تفسير إبن كثير : ٢ / ٢٠٧ .
[٣٤]) الميزان / ١٣٤/٨ .
[٣٥]) مريم / (٣) .

أرائهم حول هذه الآية بل كان هناك تشابه واضح بين الأراء حول سياق الآية الذي يقصد به النداء والجهر بالدعوة خلاف المناجاة ولا ينافيه توصيفه بالخفاء ، وكان (عليه السلام) يقوم بالليل ويدعوا الله خفيَّة في خلاء من الناس لايسمعون معهُ الدعوة ، وكان الدعاء هو لطلب الولد على الرغم من الشيخوخة ، أو أنهُ تصور نفسهُ بعيداً عن الله تعالى بذنوبه وأحواله السئية كما يكون حال من يخاف عذابه ، وقيل أنهُ اخفى صوتهُ ، لأنهُ أحب الى الله والله يسمع الصوت التقي . [٣٦]

أما الامام الرازي فلم يختلف كثيراً في تفسير الآية عن المفسرين الذين سبق ذكرهم ((وذكر في سياق الآية أنهُ راعى سنة الله في إخفاء دعوته ، لأن الجهر والاخفاء عند الله سيان فكان الاخفاء أولاً : لأنهُ أبعد عن الرياء وأدخل في الأخلاص وثانيها : أخفاه لئلا يلام على طلب الولد في زمن الشيخوخة . وثالثها : اسره من مواليه الذين خافهم . والرابع : خفيَّ صوتهُ لضعفهِ وهرمهِ كما جاء صوت الشيخ خفات وسمعهُ تارات فأن قيل من شرط النداء الجهر فكيف الجمع بين كونهُ نداء وخفياً ؟ . وإنهُ دعاه في الصلاة والله تعالى أجابهُ في الصلاة كون الاجابة بالصلاة يدل على كون الدعاء في الصلاة فوجب أن يكون النداء فيها خفياً)) [٣٧] .

٤. قال تعالى : ((يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ...)) [٣٨] .

((ذكر الطبرسي أن خائنة الأعين هي مسارقة النظر الى ما يحل النظر اليه والخائنة مصدر مثل الخيانة . كما أن الكاذبة واللاغية بمعنى الكذب واللغو وقيل أن تقديرهُ يعلم خائنة الأعين الخائنة عن مؤرج وقيل هو الرمز بالعين وقيل هو قول

---

[٣٦]) ينظر : مجمع البيان /٦٤٧/٦ ، إبن كثير /٣ /١٠٤ ، الميزان : ٦/١٤ .

[٣٧]) التفسير الكبير : المجلد (٢١ – ٢٢)/١٥٣ .

[٣٨]) غافر / (١٩) .

الأنسان ما رأيت قد رأى ، ورأيت ، ويعلم ما تضمرهُ الصدور وفي الخبر أن النظرة الاولى لك والثانية عليك فعلى هذا تكون الثانية معروفة فهي المراد بخائنة الأعين))[٣٩] .

ولم يختلف الامام الرازي كثيراً عن الشيخ الطبرسي في بيان معنى الآية الكريمة فقد أتفق معهُ في كثير من المواضع التي تبين معنى الآية ((فقد ذكر أن الله سبحانهُ عالم لايهرب عن علمه مثقال ذرة في السماوات والارض وأن الخائنة هي صفة النظرة والمراد بالآية هو أسترق النظر))[٤٠] .

أي سرق النظر الى ما لا يحل اليه كما يفعل أهل الريب ، (وما تخفي الصدور) أي مضمرات القلوب والحاصل أن الأفعال قسمان : أفعال جوارح وأفعال قلوب ، أفعال الجوارح خائنة الاعين والله أعلم بها فكيف الحال بسائر الاعمال وأفعال القلوب فهي معلومة لله تعالى فيدل هذا على كون الله سبحانهُ عالم بجميع أعمالهم .

ولم يتطرق إبن كثير في توضيح سياق الآية بشكل مفصل وإنما ذكر أن المقصود من الآية الكريمة هو علم الله سبحانهُ وتعالى المحيط بكل شيء فهو يعلم الخفايا والخبايا من الافعال وهذا توضيح عام ومختصر للآية .

ولم يختلف الطباطبائي عن الشيخ الطبرسي والامام الرازي في معرفة السياق القرآني للآية والذي سبق ذكرها بل أتفق معهم فقد ذكر أن الخائنة هي الكاذبة بمعنى الكذب ، وليس المراد بخائنة الأعين كل معصية من معاصيها بل المعاصي التي لاتظهر للغير كسارقة النظر بدليل ذكرها مع ماتخفي الصدور ، وقيل (خائنة

---

[٣٩]) مجمع البيان : ٦٦٧/٨ .

[٤٠]) التفسير الكبير : مجلد (٣١ – ٣٢) /٥٠٥ .

الأعين) أضافة الصفة الى موصوف ولازمه كون العلم بمعنى المعرفة (وماتخفي الصدور) هو ماتسترهُ النفس من الكفر والنفاق" .[٤١]

على الرغم من وجود العديد من الألفاظ المختلفة التي أستخدمها المفسرون في تفسير الآية الكريمة ألا أنهم كانوا متفقين بالمعنى المقصود من الآية ولم يكن هناك أختلاف واضح بين التفسيرات .

٥. قال تعالى : ((وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ...)) [٤٢] .

لم يتطرق العلماء المفسرين لهذه الآية والبحث في سياقها بشكل مطول ومتفرع بل أنهم ذهبوا الى تفسيرها بشكل مختصر ومعنى معين ومحدد ومن هؤلاء المفسرين الشيخ الطبرسي الذي ((ذكر ان المقصود من الأية أعلاه وترى يامحمد أي على النار قبل دخولهم النار ساكنين متواضعين في حال العرض ينظرون من طرف خفي أي خفي النظر لما عليهم من الهوان يساقون النظر الى النار خوفاً وذلة في نفوسهم)) [٤٣] .

وذهب الرازي الى أن ((المعنى هو كونهم خاشعين حقيرين مهانين بسبب مالحقهم من الذل ويبتدء نظرهم من تحريك لأجفانهم ضعيف خفي بمسارقة كما ترى الذي يتيقن أن يقتل فإنهُ ينظر الى السيف كأنهُ لا يقدر على أن يفتح أجفانه عليه ، ويملأ عينيه منهُ كما يفعل في نظره الى المحبوبات فإن قيل إليس أنهُ تعالى قال في

---

[٤١]) الميزان : ٢٦١/١٧ .

[٤٢]) الشورى / (٤٥) .

[٤٣]) مجمع البيان : ٤٦/٩ .

حق الكفار إنهم يحشرون عمياً فكيف ههنا ينظرون من طرف خفي ؟ قلنا لعلهم يكونون في الابتداء هكذا ثم يجعلون عمياً أو لعل هذا في قوم وذلك في قوم أخر))[٤٤] .

وقد أتفق ابن كثير مع الطبرسي والرازي في بيان معنى الآية وذكر معنى عام ومختصر للآية أعلاه وهو ((تراهم يعرضون على النار الذي اعتراهم بما اسلفوا من عصيان الله وينظرون الى النار خوفاً منها والذي يحذرون منهُ واقع لا محال وماهو أعضم مما في نفوسهم))[٤٥] .

وذكر السيد الطباطبائي في المقصود من الآية الكريمة ((هو أن الضمير (عليها) للنار لدلالة المقام عليها وخفي الطرف ضعيفة وإنما ينظر من طرف خفي الى المكاره المهولة من ابتلى بها فهو لايريد أن ينصرف فيغفل عنها ، ولايجترئ أن يمتلىء بها بصره كالمبصور ينظر الى السيف والباقي ظاهر))[٤٦] .

وبعد بيان تفسير السيد الطباطبائي للآية التي سبق ذكرها نلاحظ أنهُ لم يختلف تماماً عن باقي المفسرين وعلى الرغم من أن المعنى الذي ذكرهُ المفسرون كان مختصراً ألا أن أرائهم كانت متفقة بعض الشيء .

٦. قال تعالى : ((يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ...))[٤٧] .

---

[٤٤]) التفسير الكبير : مجلد (١٧ – ١٨) / ١٠٨ .
[٤٥]) تفسير ابن كثير : ١٠٨/٤ .
[٤٦]) الميزان / ٥٥/١٨ .
[٤٧]) الحاقة / (١٨) .

فقد تطرق الطبرسي الى شرح وتفسير هذه الاية ((وذكر يومئذ تعرضون يوم القيامة وأي نفس خافية وفعلة خافية لاتخفى على الله ، وتعرضون ثلاث عرضات يوم القيامة أثنان فيها معاذير وجدال ، والثالثة تطير فيها الصحف في الايدي فأخذ بيمينه واخذ بشماله ، وليس بعرض الله الخلق ليعلم من حالهم مالم يعلم فإنهُ عز أسمه العالم لذاته يعلم ما كان منهم ولكن ليظهر ذلك لخلقه)) [٤٨] .

وقد ذهب الرازي الى ((أن للآية مسألتان الاولى : في الآية وجهان الاول : تقرير الآية تعرضون لايخفى أمركم فأنه تعالى عالم بكل شيء ولايخفى عليه منكم خافية ونظيره قوله : ((لا يخفى على الله منهم شيء)) [٤٩] فيكون الغرض منهُ المبالغة في التهديد ، يعني تعرضون على من لايخفى عليه شيء اصلاً أما الوجه الثاني من المسألة الاولى : المراد لايخفى يوم القيامة ، ما كان مخفياً منكم في الدنيا فتظهر أحوال المؤمنين فيتكامل بذلك سرورهم وتظهر أحوال عذاب الكافرين فيظهر بذلك حزنهم وفضيحتهم . أما المسألة الثانية : هي قراءة العامة (لاتخفى) بالتاء المنقطة من فوقها ، والياء هي قراءة حمزة ، لأن الياء لاتجوز الا للذكر والتاء للأنثى وههنا يجوز إسناد الفعل الى المذكر وهو أن يكون المراد بالخافية شيء ذو خفاء ووقع الفصل بين الأسم والفعل بقوله منكم)) [٥٠] .

وقد تطرق ابن كثير الى تفسير الآية اعلاه بشكل عام ومختصر ولم يتعمق في الآية وإنما ذكر معنى عام وظاهر للآية وهو ان تعرضون على عالم السر والنجوى الذي لايخفى عليه شيء من اموركم بل هو عالم بالظواهر والسرائر والضمائر .

---

[٤٨]) مجمع البيان : ٤٣٨/١٠ .

[٤٩]) غافر / (١٦) .

[٥٠]) التفسير الكبير : مجلد (٢٩ – ٣٠)/٩٧ .

والسيد الطباطبائـي لم يختلف في تفسـيره للآية عن المفسرين السابقين بل أتفق معهم في تفسـير وبحث في سياق الآية فذكر الظاهر ان المراد به العرض على الله فالـعرض يومئذ على الله وهو يوم القضاء إبرز ماعند الأنسان من أعتقاد وعمل إبرازاً لايخفـى معهُ عقيدة خافية ولا فعلة خافية ، وذلك بتبدل الغيب شهادة والسر علناً وبروز الخلق لهُ وعدم خفاء شيء منهم عليه وظهور الحقائق يومئذ ظهوراً لاستر عليه ولامرية فيه ، فالمعنى انكم في معرض على علم الله ويظهر كل فعلة خافية من افعالكم .[٥١]

الخلاصة :

بعد الرجوع الى المصدر الاول في الشريعة الاسلامية وهو القرآن الكريم والبحث فيه عن لفظة (الخفاء) أو مشتقاته وجدت عدة آيات قرآنية تحوي مشتقات الخفاء . ولم تحتوي هذه الآيات لفظة صريحة (للخفاء) وكانت هذه المشتقات (خفى ، يخفى ، خفيات ، يخفوه ، ....) .

وقد تم اختيار سبع آيات فقط على اساس المعنى الذي يتعلق بمشتقات الخفاء . ثم ذهبت للبحث في سياق هذه الآيات عند العلماء المفسرين وأكتفيت بالبحث في أربع مصادر مهمة وهي (الميزان ، التفسير الكبير ، ابن كثير ، ومجمع البيان) وكانت ارائهم حول تفسير آيات (الخفاء) متفقة ومتشابهة في اغلب الاحيان

---

[٥١]) الميزان : ٣٥١/١٩ .

على الرغم من الاختلاف البسيط بتركيب الالفاظ ألا ان المعاني كانت متفقة عند المفسرين .

الفصل الثالث : موارد الخفاء في نهج البلاغة :

اولاً : النصوص

بعد الرجوع الى كتاب نهج البلاغة والاطلاع على خطب الامام علي (عَلَيّهِ السَلامْ) لقد اخترنا مجموعة من هذه الخطب الذي ذكر فيها الامام عن موضوع الخفاء او مشتقات (الخفاء) ثم ذكرنا مجموعة نصوص تحوي لفظة (الخفَاء) أومشتقاته من هذه الخط . ومن هذه النصوص :

١. من كلام الامام علي (عَلَيّهِ السَلامْ) : " الْحَمْدُ للهِ الَّذِي بَطَن خَفِيّاتِ الْأُمُورِ ، وَدَلّتْ عَلَيْه أَعْلامُ الظُّهُورِ ، وَامْتنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبِصَيِر ، فَلا عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرهُ تُنْكُرهُ ، وَلاَ قَلْبْ مَنْ أَثْبْتَهُ يبْصُرهُ " [٥٢] .

٢. من خطبة الامام علي (عَلَيّهِ السَلامْ) : " قَسَم ارْزَاقهُمْ ، وَأَحْصَى آثَارهُمْ ، وَاعْمَالهُمْ ، وَعَدَد أَنْفاسِهُمْ ، وَخَائِنَة أَعْيِنِهُمْ ، وَمَا تُخْفِي صُدوُرهُمْ مَن الضَّمِير ، وَمُسْتقرَّهُمْ ، وَمُسْتَوْدعهُمْ ، مَن الْأَرْحَامِ وَالظُّهوُرِ ، الى إنْ تتنَاهَى بِهُم الْغَايَاتُ "[٥٣] .

٣. من خطبة الامام (عَلَيّهِ السَلامْ) : " ثُم مَيَزهُمْ لِمَا يُرِيُد مِنْ مَسْألَتِهمْ عَنْ خَفايَا الْأَعْمَالِ ، وَخَبايَاَ الْأَفعَالِ ، وَجَعَلهُمْ فَرِيقَيْنِ اَنْعَمَ عَلَى هؤُلاءِ ، وَانْتَقَمَ مِنْ هؤُلاَءِ " [٥٤] .

---

[٥٢]) نهج البلاغة : محمد عبدة : الخطبة :٥٠ /٦٦ .

[٥٣]) نفس المصدر : الخطبة : ٩١ /١١٠ .

[٥٤]) الخطبة : ١١٠ .

٤. من خطبة الامام علي (عَلَيّهِ السَلامْ) : " وَلَاَ يَعْزبُ عَنهُ عَدَد قَطْرِ الْمَاءِ ، وَلَا نُجُومِ السَماءِ ، وَلَا سَوافِي الَريحِ فِي الْهَواءِ ، وَلَا دَبيبُ النَمْلِ علَى الَصَفا ، وَلاَ مَقيلُ الذَرَ فِي اللَيلةِ الظَلْمَاءِ ، يَعْلمُ مَسَاقَط الْأوْرَاقِ وَخَفي طَرْفِ الأحْدَاقِ " [٥٥] .

٥. من خطبة الامام علي (عَلَيّهِ السَلامْ) يصف فيها المنافقين : " أُوصِيُكمْ _ عباد الله _ بتقوى اللهِ ، وأحذِّرُكمْ أهْلَ النفاقِ فإنهمُ الضالُّون المضلّوُنَ ، وَالّزالوُنَ المُّزلونَ ، يَتلَونُونُ الوَاناً ، وَيَفتَنوُنَ افتِنَاناً ، وَيعَمدوُنَكُمْ بكل عِمَادِ ، وَيَرْصدُونكُم بِكُلَ مِرْصَادٍ ، قُلُوبهُمْ دَوِيَةٌ ، وَصِفاحُهُمْ نَقيَة ، يمْشُونَ الْخَفَاء "[٥٦] .

٦. ومن كلام الامام علي (عليه السلام) يوصي به اصحابه : " إِنَ الله سَبْحانَهُ وَتَعاَلى لاَ يخْفىَ علَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفوُنَ في لَيْلهِمْ وَنَهَارهِمْ ، لَطُفَ بِهِ خُبْراً ، وَأحَاطَ بِهِ عِلْماً ، أَعْضَاؤُكُمْ شُهوُد ، وَجَوَارِحكُمْ جُنُودٌ ، وَضمَائِرُكُمْ عُيوُنُهُ ، وَخَلَوَاتكُمْ عِيَأُنُهُ "[٥٧] .

---

[٥٥]) الخطبة : ١٨١ .

[٥٦]) الخطبة : ١٩٧ .

[٥٧]) الخطبة : ٢٠٢ .

ثانياً : السياق النصي :

بعد الرجوع الى مصادر شرح نهج البلاغة والأطلاع على شروح هذه المصادر والبحث فيها ، وجدتُ أنْ بعض علماء هذه المصادر لم يتطرقوا الى شرح بعض النصوص في خطب وأقوال الامام علي (عليه السلام) ، منهم محمد عبدة وصبحي الصالح ... ، وأما البعض الاخر من علماء المصادر الاخرى فقد تطرقوا الى شرح كامل لنهج البلاغة منهم ميثم البحراني وغيرهم . وقد اعتمدت على أربعة مصادر كجزء من خطة إتمام هذا البحث .

١. من كلام الامام علي (عليه الاسلام) : " الحْمدُ للهِ الذّي بَطَن خَفِياتِ الإمُورِ ، وَدَلتَ عليهِ أعَلامُ الظّهُورِ ، وَامتَنعَ على عَيْن الْبصِيرِ ، فَلاَ عَيْنٌ منْ لمَ يَرَه تُنكرهُ ، وَلا قلْبُ مَنْ أَثْبتَهُ يُبصرهُ " .

تطرق بعض علماء شرح نهج البلاغة إلى شرح هذه الخطبة التي تعد من روائع خطب الامام (عليه السلام) والبحث في سياقها ، ومن هؤلاء العلماء ميثم البحراني (ت ٦٧٩/ هـ) : " حيث ذكر أنْ ما أرادهُ الامام من هذه الخطبة كونهُ تعالى بطن خفيات الامور ، ويفهم من هذا معنيان الأول : كونهُ داخلاً في جملة الامور الخفية ولما كانت بواطن الأمور الخفية أخفى من ظواهرها كان المفهوم من كون باطنها أنهُ أخفى منها عند العقول . وَالثاني : أن يكون المعنى نفذ علمهُ في بواطن خفيات الامور . أما المعنى الأول فبرهانهُ أنك علمت أن الأدراك أما حسي أو عقلي ، ولِمَا كان الباري مقدساً عن الجسمية منزهاً عن الوضع ، والجهة أستحال

ان يدركهُ شيء من الحواس ، لأن ذاته تعالى بريئة عن أنحاء التركيب ، أستحال ان يكون للعقل أطلاع عليها . والثاني أنهُ عالم الخفيات والسرائر ودلت عليهِ آياتهِ وأثارهِ في الكون الدالة على وجوده في كل صورةً منها "[٥٨] .

وتطرق محمد عبدة (ت ١٣٢٣ هـ) الى ذكر معنى بسيط وعام " وهو أن الله يعلم المخفيات ، والأعلام هو المنار المهتدي بهِ ، ثم عم في كل شيء الادلة الظاهرة التي بظهوُرها يظهر غيرها والله سبحانهُ مخفي بالاسرار " [٥٩] .

أما محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠ هـ) " فقد فسر القول في توضيح المراد من خطبة الامام (عليه السلام) أن الله سبحانهُ يعلم الأشياء باطنها وأعماقها ومن جميع جهاتها تماماً ، كما هي في واقعها وحقيقتها ، وأثاره سبحانهُ دلت عليه في كل أقطار الأرض والسماوات ، ووجه الدلالة فيها أنها تخضع في طباعها وأوضاعها لنظام لا تعدوهُ وقانون لا تتجاوزهُ . فالشمس مثلاً تبعد الأرض بنسب معينة ، وكذلك الكواكب عن بعضها البعض والله غنيٌ عن كل شيء وإليهِ يفتقر كل شيء " [٦٠] .

وذهب الشيرازي الى شرح النص السابق ذكره بشكل مفصل حيث " ذكر أن الخطبة واردة في صفات الجلال والجمال . أي تدور هذه الخطبة حول الصفات الربوبية والعلم الالهي وتتضمن أشارات عميقة المعاني الى جوانب من صفات الجلال والجمال وتنزيه الذات المقدسة من مزاحم الملحدين . وقد أورد شراح نهج البلاغة عدة تفسيرات لقوله (عليه السلام) قيل بطن خفيات الامور بمعنى علِمَ الخفاء . وتفسير بطِنَ بمعنى الخفاء هو الانسب ، ومفهوم العبارة ان الله مخفي

---

[٥٨]) شرح نهج البلاغة : ميثم البحراني : (٤٨)/١/١٢٧ .

[٥٩]) نهج البلاغة : محمد عبدة : الخطبة (٥٠)/٦٦ .

[٦٠]) في ظلال نهج البلاغة : محمد جواد مغنية : الخطبة (٤٩) .

بالاسرار وان ذاته أعضم خفاءاً من الخفاء ، وان اياته ظاهرة جلية في كل مكان من بقاع الارض وازدادت الايات والادلة على قدرة الذات الالهية " [٦١] .

وبعد ذكر السياق النصي لهذه الخطبة المذكور سابقا عند بعض شراح نهج البلاغة نلاحظ ان ما اراده المعصوم هو ان الله سبحانه مخفي بالاسرار وانهُ سبحانهُ منزه من كل شيء وأن آياته وأثاره في جهات الكون دلت بوجوده سبحانهُ .

٢. من خطبة الامام علي(عليه السلام) : " قَسمَ أرْزاقهُمْ ، وَأَحْصى اثَارُهُمْ وَأعْمالهُم ، وَعَدَدأ أَنْفاسهُمْ ، وَخَائِنَة أَعْينهُمْ ، وَما تَخفْي صدُرُوهُمْ مَنْ الضمِيّر وَمَسُقْرَّهُمْ وَمُسْتودعهُمْ ، من الأَرحَامِ وَالظَّهوُر إلى أنْ تتناهَى بهم الْغَايِات " .

ذهب ميثم البحراني الى القول بأن ما أرادهُ الامام من هذا النص " أن الله سبحانهُ قسم أرزاقهُمْ ، أي وهبَ لكل واحدٌ من الخلق ما كتب لهُ في اللوح المحفُوظ ، كونهُ أحصى أثارهُمْ منَ الأرحام وَ الظهَور ، أي أحصى كل ذلك منهُم بقلم القضاء الالهي في الالواح المحفوظة . قولـه تعالى : ((يَعلَم خَائِنة الأعَين وَمَا تَخفي الصُدوُر)) [٦٢] . وقوله تعالى ((وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ...)) [٦٣] ويعلم كل احوالهُمْ من حيث الأبتداء الى أن تتناهى بهِم الغايات "[٦٤] .

أما محمد عبدة ومحمد جواد مغنية فقد ذهب كلاً منهما الى ذكر شرح عام وبسيط لهذا النص من الخطبة . ولم يتعمقوا كثيراً فقد فسر القول محمد عبدة " وذكر إن من الضمير بيان لما تخفي الصدور وذلك أخفى من خائنة الأعين وما

---

[٦١]) نفحات الولاية : الشيرازي : الخطبة ٣٤٩/٢/٤٩ .

[٦٢]) غافر / ١٩ .

[٦٣]) هود / ٦ .

[٦٤]) شرح نهج البلاغة : ٨٧ /٢ /٣٢٨ .

يسارق من النظر إلى ما يحل إليه ، وذلك أخفى مما قبلها من الأرحام والظهور فيها ، او تكون (مَنْ) لتبعيض أي الجزء الذي كانوا فيهِ من أرحام الأُمهات وظهور الآباء "[٦٥] .

أما محمد مغنية " ذكر في تفسير النص إن الله قَسَمَ أرزاقَهُمْ على أساس ما بينهُ في كتابه وإنهُ سبحانهُ اعلم بالشيء من نفسه ، لأنهُ خالق كل شيء الى أن ينتهي مصير الأنسان "[٦٦] .

في حين ذهب الشيرازي الى شرح هذا النص من الخطبة وذكر " أن المراد بالآثار يعني آثار وطئهم بالارض ، والمراد بعدد الأنفس ، أي بعدد الناس بكل زمان ومكان ، كما فسرت بعدد الأنفاس ، والمراد بخائنة العين النظر الحرام وغمز الأخرين من أهل العفة والحياء ، فهي إشارات إلى النيات الحسنة والقبيحة والطاهرة والفاجرة ، وما تخفيهِ صدُورِهُمْ . والمستقر رحم المرأة التي تستقر فيه نطفة الرجل ، والمستودع صلب الرجل ، وكل هذه العبارات تدل على علمه سبحانهُ بها من قبيل الاعمال والحركات والعين والعقائد والأنفاس والنيات ومنذُ ظهور النطفة في صلب الرجل إلى أنتقالها الى رحم المرأة مروراً بالولادة ومراحل الحياة وأخيراً الموت وليعلم الانسان أنهُ في عين الله على كل حال "[٦٧] .

ملخص القول : ما أرادهُ المعصوم من هذا النص من الخطبة هو إن الله سبحانه وتعالى أعلم بنا من أنفسنا فهو سبحانه يعلم ما يجري في الضمير وما تخفيه الصدور من النيات الحسنة والسيئة .

---

[٦٥]) نهج البلاغة : ١١٠/٩١ .

[٦٦]) في ضلال نهج البلاغة : ٤٥٥/١/٨٨ .

[٦٧]) نفحات الولاية : ٣٩٠/٣/٨٨ .

٣. من خطبة الامام علي (عَلَيهِ السَلامْ) : " ثُمَ مَيَّزَهُمْ لِماَ يُرِيدُ مِنْ مَسْأَلَتَهُمْ عَنْ خَفَايا الأعْمالِ ، وَخَبَايا الأفعالِ ، وجَعَلَهُمْ فَريقَيَنِ أَنْعَمَ على هؤلاء وَ إنتقَم منْ هُؤلاء " . تعد هذه الخطبة أحد الخطب الرائعة للامام (عَلَيهِ السَلامْ) ، لما تحملهُ من معاني عميقة . وتطرق العديد من علماء شرح نهج البلاغة إلى شرح هذه الخطبة ، ولكن العلماء الذين ذهبوا الى شرح هذه الخطبة لم يذهبوا الى شرح هذا المقطع من الخطبة بشكل مفصل . منهم ميثم البحراني الذي ذكر في شرح هذا المقطع من الخطبة " إنَّ الله سبحانهُ وتعالى ميز الناس على فريقينِ : منعم عليهم ومنتَقِمٌ منهم ، فإنَّ أتْباعَ الناموس الشرعي والقائلين بِهِ هُمْ المُنْعِمْ عليهم ، وَالتاركينَ لهُ المعرضين عنه هم المنتقم منْهُمْ المعاقبونَ "[٦٨] .

ولم يتطرق محمد عبدة الى شرح هذا النص من خطبة المعصوم (عليه السلام) . لكن محمد جواد مغنية ذهب الى القول بأن هذه الخطبة " تعد من أوصاف يوم القيامة اخرجهم الله مِنْ قبورهم دفعةً واحدةً ، ولا يخفى عليه واحد منهم على كثرتهم ويعلم كلاً منهمْ بإسمه وشخصه ، وما فعل ، وما ترك ، واسر وما اعلن ، حتى نظرة الطرف وخفقة القلبِ ... انه بها خبيرٌ عليمْ "[٦٩] .

أما الشيرازي " قد ذكر ان هذهِ الخطبة مِنْ أفصح الخطَب إلى جانبْ عظم محتواها ومن هنا اسموها بالزهراء . وذكر الشيرازي إن المراد من هذا النص هو مطلب واحد يعني الاعمال الخفية اشارةٍ الى الاعمال التي تتم في الخفاء وان اتى بها في وسط الناس ، وخبايا الاعمال اشارة الى الافعال التي تتم في الخلوات وان الله لا يخفى عليه عمل من الاعمال التي يقوم بها العباد "[٧٠] .

---

[٦٨]) شرح نهج البلاغة :٦٧/٣/١٠٦ .

[٦٩]) في ضلال نهج البلاغة : ١٥٣/٢/١٠٧ .

[٧٠]) نفحات الولاية : ٣/١٠٩ .

خلاصة القول : إن الله سبحانه عالم بكل الاعمال والافعال التي تحدث في الخفاء وهذا ما يقصده الإمام من هذه الخطبة .

٤. من خطبة الإمام(عليه السلام) " لاَ يَعْزَبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطَر المَاء ، وَلا نُجُوم السَمَاءِ ، وَلا سَوافي الرِّيحِ في الهَوَاءِ ، وَلا دَبيبُ النَملِ على الصَفا ، وَلا مُقيلُ الذُرِ في اللَيلَةِ الظَلَماءِ ، يَعلَمْ مَسَاقِطِ الأوْراقِ وَخَفِيَّ طَرَف الأحداقِ " .

ذهب ميثم البحراني إلى شرح هذا المقطع من الخطبة وذكر معنى عام وظاهر " وهو إحاطة سبحانهُ وعلمهُ المقدس بكليات الأُمور وجزيئاتها وهذهِ المَسألة العظيمة حارت العقولُ بها "[٧١] .

وكانَ رأي محمد جواد مغنية حول هذا المقطع من الخطبة متفقاً مع رأي محمد عبدة الذي ذكر شرح عام ومختصر وفسر القول " بأنَّ اللهَ سبحانهُ لا يخفى عليه سافية من سفت الريح التراب والورق ولا تخفى عليه حركة جفن العين . قوله تعالى : ((عِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الغَيبِ لا يَعْلَمُها إلا هُوَ وَ يَعْلَمُ مَا فِي البَرِ وَ البَحْرِ وَ ما تَسْقُطُ وَرَقَةٌ إلا يَعْلَمُها...)) "[٧٢] [٧٣] .

ولكن الشيرازي تعمق في شرح هذا المقطع من الخطبة " وذكر إنّ هذه الخطبة إشارةً إلى صفات الله سبحانهُ وعلمهُ المطلق بجميع الاشياء حتى اصغرها كعدد قطرات الماء ، وذرات التراب . وإنَّ أعمالَ الناسِ محفوظةٌ لا تَخَفَى على اللهِ ،وَعَدَدْ قَطَرَاتِ الماء تُشِيرُ إلى قطراتِ المطَرِ ، وَماءِ البِحارِ ، وَالأنْهارِ، وَاللآبارِ ، وَاليَنَابِيعِ وَالعُيُونِ التي لا يَعْلَمُها إلا الله ، كَما يَعْلَمْ عَدَدْ نجومِ السماءِ التي لا تُعَدْ وَلا

---

[٧١]) شرح نهج البلاغة : ١٧٧ /٣/٣٤٤ .

[٧٢]) الانعام / ٥٩ .

[٧٣]) نهج البلاغة : ٢٣٤ ، ينظر : في ظلال نهج البلاغة : ٦/٣/١٧٦ .

تُحْصَى ، وَعَدَدْ ذَرّاتِ الغُبارِ التي ترتفع في كل ان في أمواجِ الرياحِ في كَلِ أنْحاءِ الكرة الارضية . والمراد بدبيب النمل الاصوات التي تصدر عن وقع اقدام النمل عَلى الحَجْرِ وَالتي يَصْعُبُ إدْرَاكَها بِكُلِ وَسِيلةٍ إلا إنَّ اللهَ عَالِمٌ بِها ، وَيَعْلَمُ مَوضِعَ سُقُوطِ الأوراقِ أي أوراقِ البَسَاتِينِ وَالحَدائِقِ ، كَما يَعْلَمُ عَدَدْ أطْبَاقِ أجْفَانِ عِيُونِ النَاسِ وَالحيواناتِ " [٧٤] .

٥. من خطبة الامام علي (عليه السلام) يصف فيها المنافقين " أوَصيكُم _ عباد الله _ بتقوى الله ، وَأحذرَكُمْ أهَل النْفَّاق فإنهُمْ الضَّالُونَ المضَّلوُن ، وَالزَّالوُنَ المزُلَّونَ ، يتَلونُونَ أَلْواناً ، وَيفتَنُونَ أفتَاناً ، وَيعَمدوُنكُمْ بَكلِ عَمَادٍ ، وَيرصدُنُكُمْ بكل مِرْصادِ ، قلوُبُهُم دَوُيَّةٌ ، وَصفَاحهُمْ نَقَّيةَ ، يمشُوُنَ الخَفاءَ " .

هذه الخطبة تتحدث عن بعض صفات المنافقين الكفار وقد تطرق شراح نهج البـلاغة الى شرح هذا المقطع بشكل مفصل ومنهُمْ ميثم البحراني الّذي ذكر " أن ما أرادهُ الامام (عليه السلام) هو التحذير من المنافقينَ وتعدد مذاقهُمْ ، ليعرفوا تجنبهُمْ وَالابتعاد عنهُمْ . فأنهُمْ المنحرفُونَ عنَ سبيِل الله ، لعدم الإهتداء إليهِ المضلونَ لغيرهُم بالشبهات الباطلة ، وتغيرات اقوالهُمْ وَأفعالهُمْ من حال الى حال بحسب اغراضهُمْ الفاسدة ، وعمدهُمْ للمتقينَ ، وقصـــدهم لهم بكل مكـروه على وجه الحيلة والخدعة وترصدهم بكل مرصاد ، وتتبع وجوه الحيلة من الحسد والحقد والكره وقلوبهم مريضة مع إظهار البشاشة والصداقة والنصيحة ، يعني أن يظهر للأنسان بلسان حسناً محموداً ويبطن خلافه . ويمشونَ الخَفَاء كناية عن كون حركاتهُمْ القولية

---

[٧٤]) نفحات الولاية : ٤٣٢/٦/١٧٨ .

والفعلية فيما يريدونهُ في خفاء افهام الناس والخفاء والضراء منصوبان على الظرفية وهما مثلان لمن يخدعه ويختل غيرهُ "[٧٥] .

وقد أتفق الشيرازي مع ميثم البحراني في " ذكر صفات النافقين وقلوبهم المريضة المملوءه بالكره والحسد والخدع للمتقين وقذفهم في الزلل والخطأ وخططهم الخفية المكروهة ويبثون الشائعات والشكوك في صفوف المؤمنين "[٧٦] .

وذكر محمد عبدة " إنهم يمشون مشي التستر ، ويدبرون أي يمشون على هيئة دبيب الضراء ويسرون في الجسم سريان المرض "[٧٧] .

وإتفق محمد جواد مغنية مع العلماء السابقين " بأن المنافقين هم كوباء الكوليرا لهم ألف وجه ولسان ، واساليبهم الكر والخداع ويضعون خطط الخداع والنفاق ، قال تعالى ((وفي قلوبهم مرض فزادهم مرض))[٧٨] يمشون كجرثومة السرطان التي تفسد الجسد واللحم والدم دون أن تظهر نفسها ومعنى ذلك ان النفاق داء اجتماعي وجد مع المجتمعات التي تضم القوي والضعيف والخاضع والمسيطر "[٧٩] .

وملخص القول : إن ما ارادهُ الامام من هذه الخطبة العظيمة هو الابتعاد عن ظاهرة النفاق والمنافقين لانهم لا يبثون سوى الشكوك والشائعات الباطلة .

٦. من كلام الامام علي (عليه السلام) يوصي به اصحابه " إن الله سبَحْانهُ وَتعَالى لاَ يخَفَى علَيهِ مَّا الّعباد مقَترْفونَ فِي ليلِهُمْ وَنهارِهمْ ، لطَف بهِ خبراً ، وَاحَاط بهِ علمَاً ، اعضاؤكُمْ شُهُود ، وَجوارِحكُمْ جنُوُد ، وَضمائِركُمْ عيُونهُ وَخلواتكُمْ عيانُهُ " .

---

[٧٥]) شرح نهج البلاغة : ٣٩٩/٣/١٨٥ .

[٧٦]) نفحات الولاية : ٤٥٩/٧/١٩٤ .

[٧٧]) نهج البلاغة : ٢٧٨/١٩٧ .

[٧٨]) البقرة / (١٠) .

[٧٩]) في ضلال نهج البلاغة : ١٧٣/٣/١٩٢ .

تعد هذه الخطبة من روائع الخطب للمعصوم حيث يوصي بها اصحابه وصايا بليغة وقد تطرق الى شرح هذه الخطبة العديد من العلماء منهم ميثم البحراني الذي ذكر " بأن ما ارادهُ الامام ان الله لا يخفى عليه شيء فهو عالم ومحيط بكل شيء في الليل والنهار ، ينفذ علمه بالبواطن كما يقع على الظواهر ، اعضاؤكم شهود عليكم وجوارحكم جنوده ، وذلك بأعتبار كونها معينة عليهم ، وضمائركم عيونه ، اي طلائعه وجواسيسه . وكنى بالخلوات عما يفعل من المعاصي في مكان لا يوجد فيه احد فيكون حقيقة وظاهرا كونها عيانا لله " [٨٠] .

وذهب محمد عبدة الى ذكر معنى مختصر وهو " ان الله سبحانه لا يخفى عليه ما يكتسبون العباد ، والله لطيف العلم بما يكسبه الناس كإنه ينفذ في سرائرهم كما ينفذ لطيف الجواهر في مسامي الاجسام بل هو اعظم من ذلك ويعاين كل شيء "[٨١] . وذكر محمد جواد مغنية إن الامام " يشير في هذه الخطبة الى الصلاة والزكاة والامانة و(لطف به خبراً) الضمير الى ما في قوله (عليه السلام) " لا يخفى عليه ما العباد مقترفون " يشير الامام بقوله (لطف به خبراً) الى الاية ((لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ))[٨٢] . واللطيف هو العالم بدقائق الامور وغوامضها ، و(ضمائركم) أي ان ذات الصدور تشهد على العصاة تماماً كما تشهد عليهم اعضاؤهم وخلواتكم عيونه . وكل سر عندهُ تعالى علانية وكل غيب عنده شهادة " [٨٣] .

---

[٨٠]) شرح نهج البلاغة : ٦٧/٣/١٩٢ .

[٨١]) نهج البلاغة : ٥٨٢/١٩٩ .

[٨٢]) الانعام / (١٠٣) .

[٨٣]) في ضلال نهج البلاغة : ٢٠٤/٣/١٩٧ .

اما الشيرازي فقد اورد القول في هذه الخطبة " إن الامام (عليه السلام) اشار الى التعبير بالعباد واسع يشمل جميع الناس ، وتقديم الليل على النهار ، لان الليل موضع خفي لأغلب العصاة من يلم بأضرف الامور وادقها . وعلى هذه الامور نستند ان الله سبحانه عالم بكل شيء ، فلا يخفى عليه شيء ، واعضاء الانسان شهود على الذي يقوم به الانسان من الاعمال ، والضمائر تعني باطن الارض وتشير الى وجدان الانسان ، والخلوات موضع الخلوة الذي لا يوجد فيه الناس . وان هدف الامام من هذه العبارات ان الله سبحانهُ محيط بكل شيء فلا يخفى عليه شيء "[٨٤] .

ملخص القول : بعد الرجوع الى اربع مصادر لشرح الخطبة السابق ذكرها قد تبين أن أراء علماء هذه المصادر كانت متشابهة بعض الاحيان .

الخلاصـــــة :

بعد الانتهاء من ذكر المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفهوم (الخفاء) وكذلك بعد البحث عن مواطن المفهوم في القرآن الكريم وبحث سياقها عند العلماء المفسرين ، بعد الانتهاء من تحديد النصوص التي وجد فيها مفهوم الخفاء في كتاب نهج البلاغة للامام علي (عليه السلام) فقد ذهبت للبحث في سياق هذه النصوص عند علماء شراح نهج البلاغة وقد اعتمدت على اربعة مصادر كجزء من اتمام خطة هذا البحث .

وهذه المصادر هي (نهج البلاغة لمحمد عبدة وشرح نهج البلاغة لميثم البحراني وكتاب نفحات الولاية للشيرازي وفي ضلال نهج البلاغة لمحمد جواد مغنية)

---

[٨٤]) نفحات الولاية : ٥٨٢/٧/١٩٩ .

وبعد البحث والدراسة في هذه المصادر عن مفهوم الخفاء قد تبين إن ما اشار اليه المعصوم (عليه السلام) في هذه النصوص وما يقصده هو ان الله سبحانهُ وتعالى عالم بكل شيء ولا يخفى عليه اي شيء .

وكانت آراء علماء شراح نهج البلاغة حول هذه النصوص التي احتوت مفهوم الخفاء متشابهة في اغلب الاحيان .

الفصل الرابع : الخفاء بين القرآن الكريم ونهج البلاغة :

بعد أن بحثنا عن المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفهوم (الخفاء) في الفصل الاول ، ووقفنا في الفصل الثاني على المواطن التي أوردت المفهوم في القرآن الكريم ، وذكرنا في الفصل الثالث خطب الامام علي (عليه السلام) التي ذكرت المفهوم ، نقف في هذا الفصل على موازنة بين القرآن الكريم والنهج بما يخص مفهوم (الخفاء) ونبحث في هذا الفصل عن مدى توظيف الامام للخفاء في خطبهِ . وقد أتخذ هذا التوظيف صورتين الاولى : الأقتباس ، والثانية : التضمين . قبل البدء بعملية الموازنة سوف نتطرق الى ذكر معنى الاقتباس والتضمين لغةٍ واصطلاحاً.

الاقتباس : لغةٍ : قبس : " القبس : النار ، والقبس الشعلة من النار ، والقبس : الجذوة ، وهي النار التي تأخذها في طرف العود ، والقابس : طالب النار وهو فاعل من قبس ، اقبس علماً من النجوم "[٨٥] .

الاقتباس : في الاصطلاح : " هو أن يضمن الكلام نثراً كان أو نظماً أو شيئاً من القرآن الكريم أوالحديث "[٨٦] .

التضمين في اللغة : " الضمين : الكفيل : ضمن الشيء وبه ضمناً وضماناً ، اي كفل به وضمنهُ اياه ، ضمنت الشيء اضمنهُ ضماناً فإنه ضامن وهو مضمون وفي الحديث ومن مات في سبيل الله فهو ضامن على الله ان يدخلهُ الجنة أي ذو ضمان على الله "[٨٧] .

---

[٨٥]) لسان العرب ، إبن منظور : ٢٠١/٦ ، مادة (قبس) .

[٨٦]) التعريفات ، أبي الحسن الجرجاني : ٣٧ .

[٨٧]) لسان العرب ، إبن منظور : ٨٩/٨ ، مادة (ضمن) .

التضمين إصـــــطلاحاً : " هو ان يتعلق معنى البيت باللذي قبلهُ تعلقاً لا يصح الا به "[٨٨] .

ويلحاظ المعنى اللغوي والاصطلاحي للأقتباس نجد أن المعصوم (عليه السلام) لم يوفق أقتباس مباشر لمفهوم (الخفاء) في خطبه ، ويظهر من خلال المتابعة أن الامام لم يستشد النصوص القرآنية بشكل مباشر في خطبه التي ذكرت مفهوم (الخفاء) .

والان نقف على مواطن تضمين المفهوم في خطب الامام علي (عليه السلام) :

١. من كلام المعصوم (عليه السلام) " الْحَمْدُ لله الَّذِي بَطنَ خَفِيَاتِ الأُمُوُر ، ودَلَتَ عَلَيْهِ أعْلامُ الظُّهُور ، وَامْتَنعَ علىَ عَيْنِ البَصِيرِ ، فَلا عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرهُ تُنْكرُهُ ، وَلاَ قَلْبُ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرهُ "[٨٩] .

بعد الاطلاع والدراسة في شروح نهج البلاغة نجد أن المعصوم (عليه السلام) لم يذكر النص القرآني . قال تعالى ((إدْعُوا رَبَكُمْ تَضَرُعَاً وَخِفْيَةً إنَهُ لا يُحِبُ المُعْتَدِينَ))[٩٠] . الذي ورد فيه مفهوم الخفاء بصورة مباشرة ، أي لم يقتبس النص القرآني في كلامهُ بصورة مباشر ، وإنما اشار الى المفهوم بصورة غير مباشرة ، أي ضمناً في كلامه معنى الاية تضمين معنوي ، حيث إن مضمون كلامه كان يدور حول الباري (عز وجل) ، وعلمهُ المطلق بالمخفيات والسرائر ، وقد ظهرت مواطن التشابه بين النص القرآني وكلام المعصوم (عليه السلام) من خلال المعنى الذي ذكره العلماء المفسرين الذين فسروا مفهوم الخفاء في القرآن الكريم وهم (الطبرسي ،

---

[٨٨]) التعريفات : أبي الجرجاني : ٦٤ .

[٨٩]) الخطبة : ٥٠ .

[٩٠]) الاعراف / (٢٨) .

الامام الرازي ، إبن كثير ، الطباطبائي ...)[٩١] وعلماء شراح نهج البلاغة الذين قاموا بشرح كلام المعصوم (عليه السلام) الذي ذكر فيه مفهوم الخفاء وهم (محمد عبدة ، الشيرازي ، ميثم البحراني ، ومحمد جواد مغنية ...)[٩٢] . وقد وظف الامام كلامهُ في بيان صفات الجلال والجمال ، والصفات الربوبية ، والعلم الالهي ، وتنزيه الذات المقدسة من مزاعم الملحدين .

٢. من خطبة الامام علي (عليه السلام) " قَسمَ أَرزاقُهُمْ ، وَأَحَصى اثاَرهُمْ ، وَأعمَالهُمْ وَأعمَالهُمْ ، وَعَددَ أَنفاسهُمْ ، وَخَائِنةَ أعَينَهُمْ ، وَمَا تَخفِي صُدُورهُمْ مُنْ الضَمِيرِ ، وَمَستقرهُمْ وَمَستُودعهُمْ مَنْ الأَرحَامِ وَالظُهُور إلى أن تتَناهى بِهمُ الْغَايَاتُ "[٩٣] .

في هذه الخطبة العظيمة الذي يدور محورها حول علم الله سبحانهُ وتعالى في كل شيء لا يخفى عليه أي شيء ، نجد أن المعصوم (عليه السلا) لم يقتبس فيها الآية القرآنية التي ورد فيها مفهوم الخفاء ، قوله تعالى ((يُعَلم خَائِنَةَ الأَعَيْنَ وَمَاتَخَفِي الصُدُورِ))[٩٤] اقتباس مباشر ، وإنما قد ضمنَ في خطبته المعنى الذي يتعلق بمفهوم (الخفاء) في الآية الكريمة ، الذي ذكرهُ العلماء المفسرين للقرآن الكريم ، ومن خلال الدراسة والمتابعة لشروح نهج البلاغة عند علماء شراح النهج ، نجد أن الامام (عليه السلام) قد أستلهم هذه الفكرة من الدلالة القرآنية كما هو واضح في كتب التفسير للقرآن الكريم ، وقد وظف الامام المفهوم في الخطبتهُ هذه بيان قدرة الله سبحانهُ وعظمتهُ التي لا تضاهيها قدرة ، فهو الذي خلق من العدم وتفضل علينا

---

[٩١]) ينظر : مجمع البيان : ٧٠٢/٤ ، التفسير الكبير : ١٠٤/٧ ، تفسير ابن كثير : ٢٠٧/٢ ، الميزان : ١٣٤/٨ .

[٩٢]) ينظر : شرح نهج البلاغة : ٦٦ ، نفحات الولاية : ٣٤٩/٢ ، شرح نهج البلاغة : ١٢٧/١ .

[٩٣]) الخطبة : ٩١ .

[٩٤]) غافر / (١٩) .

بكل النعم ، وعلمهُ المحيط بكل شيء ، حتى السرائر والمخفيات فهو عالم بما يجري في الصدور والضمير فهو سبحانهُ يعلم كل شيء عن الانسان منذ خلقهُ الى حين مماته ورحيله الى عالم الاخرة .

٣. من خطبة الامام علي (عليه السلام) " ثُم ميزُّهُمْ لِمَا يريُد مَنْ مَسْألَتِهُمْ عَنْ خَفَايَا الأَعْمَالِ ، وَخَبايَا الأَفعَالِ ، وَجَعَلهُمْ فَرِيقَيْنِ أَنْعَمَ عَلَى هؤُلاءِ ، وأَنْتَقَمَ مَنْ هؤُلاءِ "[٩٥]

تعد هذه الخطبة من روائع الخطب للامام علي (عليه السلام) إلى جانب عظُم محتواها ، وهي من أفصح الخطب التي ذكرت في نهج البلاغة ، ومن هنا أسموها بالزهراء .

ومن خلال الاطلاع على هذه الخطبة ، نجد أن المعصوم لم يورد فيها النص القرآني مباشرةٍ الذي ذكر فيه مفهوم الخفاء . قوله تعالى ((إِذ نَادَى ربَهُ نَداءٍ خَفْياً))[٩٦] وَإنَما قد ضمن المعنى الذي يتعلق بالآية الكريمة في خطبتهِ ، أي أن الامام أشار الى النص القرآني في خطبتهِ من خلال المعنى الذي ذكره العلماء المفسرين للآية القرآنية ، وعلماء شرح نهج البلاغة ، وكان مضمون الخطبة يدور حول الاعمال والافعال المخفية والتي لا تخفى على الباري (عز وجل) .

وقد وظف الامام المفهوم في خطبتهُ في بيان أن الله سبحانهُ وتعالى على علم بكل ما يقوم به الانسان من الاعمال والافعال المخفية والظاهرة ، وأنهُ سبحانهُ يحاسب كل أنسان على أعماله ، فمن كانت اعماله صالحة كان من الفريق الذي أنعم عليهم الله ، ومن كانت أعمالهُ سيئة كان من الفريق الذي أنتقم منهم الله .

---

[٩٥]) الخطبة : ١١٠ .

[٩٦]) مريم / (٣) .

٤. من خطبة الامام علي (عليه السلام) " لاَيَعزَبُ عْنَهُ عَدَدَ قَطرَ المَاءِ ، وَلاَ نَجُوُمِ السَماءِ ، وَلاَ سَوافِي الرَّيِح فِي الهَوُاَءَ ، وَلاَدَبيَبُ الْنَملِ عَلىَ الصَفاَ ، وَلاَ مُقِيلَ الذَّرّ فيِ اللْيِلةِ الْظَلَمَاءِ ، يعَلَمُ مَسَاقِط الاوْرَاَقِ وَخَفَّي طَرَفَ الأحَداقِ " [٩٧] .

يلحاظ المعنى اللغوي والاصطلاحي للاقتباس ، نلاحظ أن المعصوم (عليه السلام) لم يقتبس النص القرآني الذي ورد فيه مفهوم الخفاء ، قوله تعالى ((وَتَرَاهُمْ يعْرَضوُنَ عَلَيْهَا خَاشَعِينَ مَنْ الْذّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الذِينَ آمَنُوا إِنَّ الخَاسِرينَ الذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسهُمْ وَأَهْلِيهُمْ يَوْمَ القْيِامَةَ أَلا إِنَّ الظَّالِمينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ))[٩٨] . بصورة مباشرة ، وإنما قد ضمن الامام معنى متقارب قليلاً من معنى الآية في خطبتهِ التي كانت تشير الى أحاطة الله سبحانهُ وَعلمه المقدس بكل شيء حتى أدق وأصغر الأشياء ، وقد وظف الامام المفهوم في هذه الخطبة إشارة الى صفات الله سبحانهُ وعظمتهِ ، الذي لا يخفى عليه حتى نظرة طرف العين .

٥. من خطبة الامام علي (عليه السلام) يصف فيها المنافقين " أوَصيِكُمْ _ عَبَاَد الله _ بتَقَوى اللهِ ، وَأحَذَركُمْ أَهَل الْنَفَاقِ فَإنهُمْ الضَّالُوّنَ المضلُّونَ ، وَالزالَوُنَ المزَلوُنْ ، يَتَلوُنُونْ الوُاناً ، وَيَفَتنوُنْ افتنَاناً ، وَيَعْمدوُنكُمْ بكَل عَمَادٍ ، وَيرَصَدُونَكُمْ بَكلَ مَرصَادٍ ، قلَوُبهُمْ دَوُيةٍ ، وَصَفاحَهُمْ نَقَيةٍ ، يَمشَوُنَ الَخفَاء "[٩٩] .

قد وضح شراح نهج البلاغة أن ما أرادهُ الامام من هذه الخطبة هو الحذر منْ المنافقين ومكرهُمْ وَخداعَهُمْ ، وهذا المعنى كان مشابه لنفس المعنى الذي ذكره العلماء المفسرين حول تفسير الآية القرآنية ، قوله تعالى ((بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كاَنُوا

---

[٩٧]) الخطبة : ١٨١ .

[٩٨]) الشورى / (٤٥) .

[٩٩]) الخطبة : ١٩٧ .

يَخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رَدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ))[١٠٠] . وقد أشار المعصوم الى الآية القرآنية من خلال المعنى وضمنها في خطبته العظيمة ، وقد تحققت مواطن التشابه بين الآية القرآنية وخطبة الامام (عليه السلام) من خلال المعنى الذي ذكره العلماء المفسرين للقرآن الكريم وشرح نهج البلاغة ، وقد وظف الامام المفهوم في الخطبته في بيان صفات المنافقين الذين كانوا يخفون الكفر ويظهرون الاسلام ، الذين لهم ألف لسان ووجه ، ويضعون خطط الخداع والنفاق والمكر للمتقين ، وبث التفرقة والعداوة بين صفوف المؤمنين ، ويحملون في قلوبهم الحقد والحسد والكره للمسلمين .

٦. من كلام الامام علي (عليه السلام) يوصي به أصحابه " إِنَّ الله سّبْحانهُ وَتَعَالىَ لاَ يَخْفى علَيهِ مَا العَبادُ مَقْتَرفوُنَ فيِ ليِلهُمْ وَنهَارِهُمْ ، لَطَفَ بهِ خَبْراً وَأَحَاطَ بهِ عِلْماً ، أَعْضَاكُمْ شُهُودُ ، وَجَوارِحَكُمْ جَنُوَدَ ، وَضمّائرِكُمْ عيُونهُ ، وَخَلَواتكُمْ عِيَانُهُ " [١٠١] .

بعد الاطلاع على معنى هذا المقطع من كلام المعصوم (عليه السلام) في مصادر شرح نهج البلاغة ، نجد أن المعصوم قد أستلهم هذه الفكرة من الدلالة القرآنية كما جاء في كتب التفسير حول تفسير مفهوم الخفاء في النص القرآني ، قوله تعالى ((يَوْمئذٍ تُعْرَضُونَ لَاتَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ))[١٠٢] .

أي أن الامام ضمن معنى الآية الكريمة تضمين معنوي في كلامهِ الذي يدور مضمونهُ حول قدرة الله (عز وجل) وعظمته في كل شيء والذي يعلم مَا يقوُم بهِ

---

[١٠٠]) الانعام / (٢٨) .

[١٠١]) الخطبة : ٢٠٢ .

[١٠٢]) الحاقة / (١٨) .

الخلق ، وَما يفعلونهُ في ليلهُمْ ونهارهُمْ ، وقد ضمن الامام معاني آيات أخرى في كلامه تضمين معنوي وَمَنْ هذه الآيات ، قوله تعالى ((إنْ اللهِ لَا يَخْفى عَلِيْهِ شيءٍ فِي الاَرضِ وَلَا فِي السَماءِ...))[١٠٣]، وقوله تعالى ((وَأَنْ تَجْهرَ بالْقُوْلِ فأنهُ يَعْلمَ الِسرَّ وَأَخَفْى ...))[١٠٤] .

وتحققت مواطن التشابه بين الآية القرآنية وكلام المعصوم من خلال المعنى الذي ذكره علماء التفسير حول مفهوم الخفاء في النص القرآني ، والمعنى الذي ذكره علماء شراح نهج البلاغة حول كلام الامام الذي ورد فيه مفهوم الخفاء .

وقد وظف الامام (عليه السلام) كلامهُ في وصية أصحابه وصايا بليغة وعظيمة وذكر لهم أن الله (عز وجل) لا يخفى عليه ما يفعلهُ عَبادِه في الليل والنهار وفي السر والعلانية ، أنهُ سبحانهُ محيط بكل شيء ، فهو عالم بأدق الامور وغوامضها وعالم بذات الصدور وما يجري فيها من النيات السيئة والحسنة ، وذكر الامام لعباد الله (عز أسمه) أن جميع أعضاء الانسان ستكون شاهدة عليهِ يوم الجزاء .

وكان هدف الامام من هذه العبارات التي ذكرها في مضمون كلامه أن الباري (جل وعلا) محيط بجميع السماوات والارض لايخفى عليه أي شيء .

---

[١٠٣]) آل عمران / (٥) .

[١٠٤]) طه / (٧) .

الخاتمـــة :

نحمد الله سبحانه وتعالى الذي وفقنا لما قدّمنا ، فنحن نضع قطراتنا الاخيرة ، بعد المشوار الذي خضناه في رحلة البحث عن موضوع (الخفاء بين القرآن الكريم ونهج البلاغة) فقد كانت رحلة البحث حول هذا الموضوع تعتريها صعوبات ، لكنها لم تحول دون إنجاز هذا المشروع ، ولم يكن هذا بالجهد القليل ، ولا نستطيع أن ندعي فيه الكمال ، ولكن لنا عذرنا أننا بذلنا فيه أقصى جهدنا ، فإن وفقنا الله في إصابة ما هدفنا إليه ، فإن ذلك كان هدفنا ، وأن أخطئنا فلقد نلنا شرف المحاولة والتعليم ... .

إما بعد فأن موظوع الخفاء قد أحتل مكانة مهمة في الشريعة الاسلامية والديانات الاخرى ، وكان القرآن الكريم هو المصدر الاول للشريعة الاسلامية الذي ذكر فيه مفهوم الخفاء ، وقد أخذ هذا المفهوم مكانهُ في كتب اللغة وكتب التفسير للقرآن الكريم ، وكذلك أخذ دورهُ في خطب وأقوال وحكم الامام (عليه السلام) ، حيث أن المفهوم قد أعطى أهمية كبيرة لهذا المفهوم في خطبه ، التي أشار فيها عن علم الله سبحانهُ وتعالى بكل شيء والذي لا يخفى عليه أي شيء ، فقد تكلم المعصوم عن هذا المرفوع في أكثر من موضع واحد في خطبه الشريفة .

وكان اساس المرفوع هو مدى توظيف الامام لمفهوم الخفاء في خطبه .
والحمد لله رب العالمين .

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم .

٢. اساس البلاغة ، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري ، (ت٥٣٨ /هـ) ، تح : محمد باسل عيون السواد ، الطبعة : الاولى (١٤١٩ /هـ _ ١٩٩٨ /م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان .

٣. التعريفات ، السيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد حسين الجرجاني ، (ت٨١٦/هـ) ، تح : محمد باسل عيون السواد ، الطبعة : الثانية (٢٠٠٣ /م _ ١٤٢٤ /هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان .

٤. تفسير إبن كثير ، للامام حافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، (ت٧٧٤/هـ) ، أشراف : محمد شراد الناصري ، الطبعة : الاولى ، دار البحار ، بيروت _ لبنان .

٥. التفسير الكبير او مفاتيح الغيب ، للامام فخر الدين محمد بن علي بن الحسن بن الحسين بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي ، (ت ٦٠٤ /هـ) ، الطبعة : الثانية (٢٠٠٤ /م _ ١٤٢٥ /هـ) ، بيروت _ لبنان .

٦. شرح نهج البلاغة ، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني ، (ت ٦٧٩/هـ) ، الطبعة : الاولى (١٤٢٠ /هـ _ ١٩٩٩ /م) ، بيروت _ لبنان .

٧. العين ، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، (ت١٧٥/هـ) ، تح : الدكتور مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائي ، الطبعة : الاولى (١٤٠٨/هـ _ ١٩٨٨/م) ، بيروت _ لبنان .

٨. في ظلال نهج البلاغة ، محمد جواد مغنية ، (ت١٤٠٠/هـ) ، تح : سامي الغريري الغراوي ، الطبعة : الاولى(١٤٢٧/هـ _ ٢٠٠٦/م) .

٩. كشاف اصطلاحات الفنون ، الشيخ الاجل المولوي محمد أعلى بن علي التهانوي (ت١١٥٨/هـ) ، المجلد الاول ، الدار الصادر بيروت .

١٠. لسان العرب ، العلامة ابن منظور ، (ت٧١١/هـ) ، تح : علي شيري ، الطبعة : الاولى (١٤٠٨ /هـ _ ١٩٨٨/ م) ، بيروت _ لبنان .
١١. مجمع البيان في تفسير القرآن ، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أكابر علماء الامامية في القرن السادس ، (ت٥٨٤ /هـ) ، تح : الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، الطبعة : الاولى (١٤١٥/هـ _ ١٩٩٥/م) ، بيروت _ لبنان.
١٢. المعجم الفلسفي ،جميل صلبيا ، الطبعة :الاولى ١٣٨٥ /هـ .
١٣. معجم مفردات ألفاظ القرآن .
١٤. معجم مقاييس اللغة ، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي ، (ت٣٩٥/هـ) ، وضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين ، الطبعة : الاولى (١٤٢٠/هـ _ ١٩٩٩/م) ، بيروت _ لبنان .
١٥. الميزان في تفسير القرآن ، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ، (ت١٤٠٢/هـ) ، تح : الشيخ أياد باقر سليمان ، الطبعة : الاولى (١٤٢٧/هـ _ ٢٠٠٦/م) ، بيروت _ لبنان ، دار إحياء التراث العربي .
١٦. نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة ، آية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي ، بمساعدة : عبد الرحيم الحمداني ، الطبعة : الثانية (١٤٢٦/هـ) إيران _ قم .
١٧. نهج البلاغة ، شرح محمد عبدة ، (ت ١٣٢٣ /هـ) ، الطبعة : الاولى (١٤٢٧/هـ) .